مناقشات

■ بقلم : محمد أبو طربوش ■

الـــثورة .. والاهتمام بالـرأي العـام العالمـي

هذه حلقة جديدة في النقاش المفيد الدائر بين علاء الدين السامرائي وعبد الجبار علوان ، من جهة ، وبين محمد ابو طربوش من جهة اخرى ، حول مسألة الاهتمام بالرأي العام العالمي ، وقد نشر السيدان السامرائي وعلوان مقالا حول هذا الموضوع في العدد (٨٢) من « الهـدف » فرد عليهمـا ابو طربوش في العدد « ٨٥ » وبعد ان اجاباه في العدد (٩١) ، يجيبهما هاهنا حول ابرز النقاط التي جاءت في مقالهما.

والجدير بالذكر ان النقاش تفـرع واخذ يتناول نقاطا مهمة ، ابرزها تأثير الواقع النووي على النمو الثوري في العـالم الثالث ، وكذلك النمو الاعلامي للثـورة واسلوبه وتأثير الثورات على الواقـع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للدول المعتدية .. .

« الهدف »

من المؤسف ان الاخوة علاء الدين السامرائي وعبد الجبار علوان قد انتهجوا الى تبني اسلوب عاطفي في ردهم على مقالي حول الاهتمام بالرأي العام العالمي (الهدف ـ عدد ٨٥) . فحساسية مثل هذا الموضوع تجعل تبني الاسلوب الـذي يتصف ببرود اكاديمي ضرورة ، وليس ترفا ، للتوصل الى اي نتائج صحيحة .

اول الاخطاء التي يرتكبها المقال هي الدفاع عن انتقادي لتصنيفهم الرأي العام العالمي الى ثلاثة اقسام الاول : هو الصنف الصديق والذي يتكون من الحركات الثورية العالمية . الثاني : هـو القسم المحايد . والثالث هو الرأي العام العدو. وهناك اشرت الى وجوب التمييز بين السياسة التي تتبعها حكومة ما وبين الاراء التي يتبناها الشعب ، حيث ان كلمة « رأي عام » تعني الاتجاهات التي يعتنقها الشعب وليس سياسة الحكومة المعنية ، ولهذا طلبت التفريق بين السياسة التي تتبعها حكومة هيلاسيلاسي الرجعية مثلا وبين الرأي العام الاثيوبي ، نظرا لان الاول لا يمثل الثاني .

يمضي المقال وينثر بعض الشكوك حـول اعتقادي القائل بانه « لا يمكن تغيير سياسة الدول الاستعمارية ـ او حتى جهاز الدول نفسه ـ سوى عن طريق خلق التناقضـات داخل المجتمع الاستعماري نفسه » . ومن الغريب ان كاتبي المقال يتوصلان الى نفس النتيجة ولكن بعـد تهجمهم ومعارضتهم للنقطة الواردة اعلاه ، حيث يقولون « ان القضاء على الراسمالية في اي بلد هو حقا من مسؤوليات شعب ذلك البلد ... فان انتصار الحركات الثورية وطرد الاستعمار من البلدان الواقعة تحت استغلالهم ، وتقويض دعائم الامبريالية على النطاق العالمي ، سيمهد السبيل امام بروليتاريا الـدول الامبرياليـة للاطاحة بالنظام الراسمالي » .

ان الفرق بين هذا القول وبين ما ورد فـي مقالي عن « صمود الشعب الفيتنامي البطل هو الذي جعل « التكاليف الاجتماعيـة » ـ اي الخسارة في الارواح ـ لاستمرار الحرب فـي فيتنام تعلو الى حد اثار معارضة بعض قطـاع الشعب الامريكي وزاد في تناقضاته » غير معلوم ويبدو بانه سيبقى كذلك نظرا لعدم وجوده .

بعد هذا يشير المقال الى ان القول بان تكاليف الحرب الفيتنامية لا يكلف الاقتصاد الامريكي اكثر من ١ ٪ من الدخل القومـي ما هو الا « ادعاء كاذب تروج له الطبقة الحاكمة الامريكية». بعد قراءة هذه الفقرة تتفتح شهية القارىء الـى معرفة الحقائق بخصـوص تكاليف الحـرب الفيتنامية ، ولكن من المؤسف حقا بان كتـاب المقال لم يزودونا الا بعبارات واقوال ادلى بها بعض ساسة الولايات المتحدة . الا يفرق كتـاب المقال بين الاخباريات والادلاءات السياسية وبين الادلاءات المسندة بالحقائق والوثائق . لقـد قرات اقوال « الشيوخ » المشار اليهم بامعـان ولم اجد رقما واحدا او الاشارة الى وثيقـة واحدة او برهانا واحدا لمساندة اقوالهم ، كل ما هنالك هو عبارات براقة ولعب بالالفاظ هدفها التوصل الى هدف سياسي معين .

طبعا ليس المقصود هنا مهاجمة هؤلاء الشيوخ الذين يعارضون الحرب الفيتنامية ، ولكـن المقصود هو انه يجب على الباحثين العـرب الا يلجاوا في بؤسهم آرائهم الا الى الحقائق المبنية على القول والفعل معا وعلى الارقام والادلـة الاحصائية وليس على القول فقط .

يناقش الكتـاب قولي بان « التكاليـف الاجتماعية » ـ اي الخسـارة في الارواح ـ وليست التكاليف الاقتصادية للحرب الفيتنامية هي التي ادت الى اثارة معارضة بعض قطاع الشعب الامريكي وزادت في تناقضاته . ويحذرونا من عدم تجاهل « المضاعفات الاقتصادية والاجتماعية التي بدات تهز الكيان الاقتصادي والاجتماعـي الامريكي بالضبط بتاثير هذه الحرب البيتنامية». ويقولان : « ان هـذا الارتباك الاقتصـادي والاجتماعي في امريكا يشمل اختلال ميـزان المدفوعات ، التضخم المالي (ارتفاع الاسعار) المستمر والمقترن بنقيضه وهو تفشي البطالة مما حير « خبراء » الاقتصاد البرجوازيين » .

هذا لو زودنا الكتاب ببعض الارقام التـي تدل على ان الحرب الفيتنامية هي السبب الذي ادى الى « هز » الكيان الاقتصادي الامريكي . لم يحاول احد انكار تاثير الحرب الفيتنامية على الاقتصاد الامريكي ، ولكن مقالي حاول ان يبين بان « التكاليف الاجتماعية » للحرب هـي المؤثر الرئيسي على المجتمع الامريكي وليس العامل الاقتصادي . فانه من الافلاس القول بان ازدياد الاسعار المستمر (التضخم الاقتصادي) في امريكا ناتج عن طمع وجشع الراسماليين اصحاب الاعمال الذين يتنافسون للحصول على اكبر نصيب من الربح . فالتضخم الاقتصادي في بريطانيا في الوقت الحاضر يعتبر من اسوا ما اختبرتـه بريطانيا منذ الحرب العالمية الثانية : وهـذا ليس ناتجا عن كون بريطانيا في حالة حرب ، ولكن ـ كما ورد سابقـا ـ نتيجة لتصميم الراسماليين في الحصول على اضخم المرابح ، حيث انهم يقومون بزيادة اسعار منتوجاتهم دون زيادة مساوية في اجور عمالهم . (من الجدير بالذكر هنا ان عمـال شركة فورد لصناعـة السيارات في انكلترا قد اضربوا عن العمل منذ شهرين وما زال الاضراب مستمرا ، وانهـم يطالبون بزيادة في الاجور بمعدل ٥٠ ٪ مـن اجرهم الحالي . وحسب دراسة نشرها « اتحاد رابطة عمال فورد في بريطانيا » انه بامكان الشركة زيادة اجور العمال بمعدل ٥٠ ٪ وفي نفس الوقت المحافظة على ارباحها ـ اي ان ارباح الشركة في الوقت الحاضر تعادل ما يفوق ٥٠ ٪ من مجموع اجور عمال شركة فورد !!!) .

لقد ذكرت في مقالتي السابقة بان «ازديـاد التكليف الاجتماعي » هذا هو الذي ادى الـى المحاولة المستمرة التي تقوم بها الولايات المتحدة لتسليم جميع البيـات الحرب تدريجيا الـى الفيتناميين الجنوبيين انفسهم ، مما سيمكـن الولايات المتحدة من مساندة تلك الفئة اقتصاديا ومعنويا (وتزويدها بالسلاح دون ان يكلفها هذا التدخل اي خسارة في الارواح) ـ كما هي الحال في اسرائيل ـ » .

في ٢٩ يناير ١٩٧١ اعلـن نيكسون (عنـد قراءته ميزانية الولايات المتحدة امام مجلـس الكونغرس) عن عزمه على زيادة ميزانية الدفاع للعام الحالي والتي ستبدأ في ١ ـ ٧ ـ ١٩٧١ من ٧٦،٤٤٣ مليون دولار الى ٧٧،٥١٢ مليـون دولار ، بينما اعلن عن تخفيض القوات العسكرية الى ما كانت عليه عام ١٩٦٤ ، اي انه سيتم تسريح ٣٠،٠٠٠ جندي من الجيش الامريكي .

يخلط المقال بين قولي باستحالة الهجـوم العسكري المباشر على الدول الذرية وبين تاثير الثورات التحررية على الدول الاستعمارية . وبعد الاشارة الى اعتقادي بانه « لا يوجد عند اي دولة القوة العسكرية التي تتمكن عن طريقها مـن اسقاط الحكم الراسمالي في الولايات المتحدة... وذلك لان مثل هذه العملية ستكون عمليـة انتحارية » ، يستخلص المقال بان « هذا هـو تفسير ابو طربوش لعدم امكانية الثورات من تحقيق دحر الاستعمار !! »

لم ينكر احد تاثير الثورات في تحقيق دحـر الاستعمار ، وقد ادلى مقالي بوضوح بان صمود الشعب الفيتنامي البطل والحركات التحريرية الاخرى هي التي ستؤدي الى ازدياد التناقض داخل المعسكر الاستعماري وستؤدي بدورها الى سقوطه .

هناك ايضا بعض الاخباريات التي تشير بـان الكاتبين قد اساءا قراءة المقال كليا ، حيـث انهما يتهمان المقال بانكار النظرية القائلة باستحالة ربح امريكا للحرب ، فقد بين المقال بكل وضوح بانه لا يمكن لامريكا ان تربح الحرب كما وانـه في نفس الوقت بامكانها الا تخسرها ، لم يقـل المقال بانه بامكان امريكا ان تربح الحرب بـل بامكانها ان تمدد الوضع الحالي الى سنيـن قادمة ـ وضع لا ربح ولا انسحاب ـ . بمعنـى اخر يمكن وصـف الوضع في فيتنام بانـه ـ STALEMATE ـ (وهو موقف مـن الشطرنج يتعذر فيه الاتيان بحركة ما من غيـر امانة الشاه) (*) ، هذا يعني بانه نظرا لصمود الشعب الفيتنامي فانه لا يمكن لامريكا ان تربح الحرب الفيتنامية الا اذا استعملت اسلحة ذرية ضد فيتنام ، وانه يستحيل على امريكا ان تقوم بذلك او حتى ان تفرض انتصارها في المعركة باي طريقة عسكرية . فلو استعملت امريكا القـوة الذرية ضد فيتنام لوجدنا ان الاتحاد السوفياتي ـ لاسباب سياسية ونفسية ـ سيقوم باستعمال الذرة ضد احد حلفـاء امريكا في المنطقـة « كفرموزا » مثلا ، ولهذا ونظرا لخطورة ردود الفعل التي قد تنتج عن مثل هذا الوضع فـان استعمال الذرة اصبح غير وارد .

من الواضح من هذه المناقشة انه لا يمكـن لامريكا ان تربح الحرب الفيتناميـة ـ ما دام الشعب الفيتنامي مصمم في ثورته ـ ولكن فـي نفس الوقت ـ لاسباب سياسيـة ونفسية ـ بامكانهم ان يسمحوا لاستمرار هذه الحـرب الى سنين قادمة ، هنا يجب الاضافة بان بولات وصمود الشعب الفيتنامي قد خلقت وستخلـق صدى في المجتمع الامريكي ، هذا الصدى الذي بدوره سيؤدي الى تغيير النظام القائم وفـق سياسته المتبعة . لهذا ـ اي نظرا لاستحالـة ربح الحرب الفيتنامية ـ فاننا نرى التغييـر الملحوظ في سياسة البيت الابيض في محاولتهم تسليم اليات الحرب الى الفيتناميين الجنوبيين والذي يعتبر خطوة اولى لانسحابهم الكلـي من هناك .

وبعد ان يحاول الكاتبان الاستهزاء «بالنظريات النووية » يستمران في الاشارة الى بعض الثورات التي تمكنت من النجاح في هذا « العصر الذري » ومنها الثورة الكوبية التي « انتصرت على بعد ٩٠ كيلو مترا من الولايات المتحدة » . واختيار هذا المثال بالذات يثير الى التعجب ، حيث ان الثورة الكوبية قد انتصرت نظرا لارادة وتصميم الشعب الكوبي ولكنها « عاشت » نظرا لتاثير ميكانيكا الاسلحة الذرية ، لنعد الى الوراء قليلا ونحاول ان نقرا الحوادث التاريخية التي احاطت بالثورة الكوبية .

لقد تفجرت الثورة الكوبية عام ١٩٥٩ ، وفي بداية عام ١٩٦٠ بدات الولايات المتحدة تفجر سخطها ، ففي تموز ١٩٦٠ توقفت عن شراء حصتها من محصول كوبا من السكر وفي ابريل ١٩٦١ قامت المخابرات الامريكية بتدريب ١٥٠٠ « لاجيء كوبي وارسلتهم الى « خليج الخنازير » كمحاولة لقلب حكومة كاسترو ، كما هو معروف لقـد باءت هذه هذه الحملة في الفشل ولكن الخطر على حياة الثورة الكوبية استمر ، حيث ان كاسترو والاتحاد السوفياتي كانا متاكدين بـان الولايات المتحدة ستقوم بمحاولات مشابهة فـي المستقبل ، وعليه بالاضافة الى المساعـدات الاقتصادية والعسكريـة التي قدمها الاتحـاد السوفياتي الى كوبا فقد قام الاتحاد السوفياتي بتزويد كوبا بصواريـخ « سام ٢ » وبعض الاسلحة النووية . ومن الجدير بالذكر هنـا ان اهمية هذه الصواريخ كانت سياسية وليست عسكرية ، حيث انه ـ كما ذكرنا سابقا ـ نظرا لاستحالة المواجهة المباشرة بين الدول العظمى ونظرا لامتلاك الجهتين لصواريخ « عبر القارات » فان بناء قواعد لصواريخ « سام » على بعد ٩٠ كيلو مترا من الولايات المتحدة لم يزد من خطورة اي هجوم سوفياتي على امريكا . ولكن نظـرا لاهمية هذا التحدي من ناحية سياسية ونفسية فقد سبب هذا الوضع ارتباكا في البيت الابيض، انتهى الى اتخاذ قرار بفرض حصار على البواخر السوفياتية المتجهة الى كوبا .

ماذا كانت نتائج هذا الحصار ؟ !!

لقد ادى هذا الحصار الى عقد اتفاقية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة تعهدت فيها الولايات المتحدة بعدم مهاجمة كوبا وعدم تشجيع اي محاولات للاطاحـة بحكومة كاسترو ، كما وتعهدت بسحب صواريخها من تركيا ومن ايطاليا ، مقابل ذلك تعهد الاتحاد السوفياتي بسحب صواريخه من كوبا .

الواضح من هذا الملخص التاريخي انه نظرا « لميكانيكية الاسلحة النووية » فان الدول الذرية (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في هذه الحالة) لم تلجا الى اي اشتباكات عسكريـة مباشرة ولم تحاول شن هجوم على اي بلد تعهدت واحدة منهما بحمايتها (في هذه الحالة الاتحاد السوفياتي وكوبا) . وحتى لو فرضنا بان شنت الولايات المتحدة هجوما عسكريا على كوبا فان الاتحاد السوفياتي سوف ينجنب محاربة امريكا على الاراضي الكوبية (لما قد يكون لهذا الوضع من مضاعفات) بل انه سيلجا الى فرض احتلال عسكري على احـد حلفاء امريكا في العالم كاسرائيل او برلين او تركيا مثلا .

ما علاقة كل هذا النقاش بالثورة الفلسطينية؟!

الجواب باختصار هو انه بينما لا يتم نصر الثورة الفلسطينية الا على ارض المعركة فـان هذه الثورة لا تتمكن اغفال واستنكار اهمية الرأي العام العالمي ، وبالرغم من ان ثورتنا الناشئـة قد ارتكبت بعض الاخطاء في وسائل اعلامها فـان « المقابلات الصحفية والتلفزيونية » التي يقـوم بها قادتها لها اهمية ايجابية .

واخيرا : يجب مساندة دعـوة الاخوين علاء الدين السامرائي وعبد الجبـار علوان للاستمرار في النقاش حول مسالة الاهتمـام بالرأي العام العالمي لما لهذا الموضوع من اهمية.

ض ر م ـ ٠٤ ٠١ ط٠

(*) « الهدف » : لا بـسعنا هنا الا ان نذكر بالقول الشهير الذي اطلقه هنري كسنغر، المستشار الاول للرئيس نيكسون : « ان قوات الثوار تنتصر عندما لا تنهزم ، وتنهزم القوات النظامية عندما لا تنتصر . . »